ثلاث مداخل للنسوية المصرية

- دراسة حالة -

أشرف مصطفى توفيق

ثلاث مداخل للنسوية المصرية

دراسة حالة

أشرف مصطفى توفيق

"المرأة لا تولد إمرأة بل تصير كذلك"

سيمون دو بوفوار - كتاب "الجنس الثاني"

1

وفي هذا السياق نشأت المدرسة النسوية في الفكر واستمرت على مدار ثلاثة أجيال وظهرت العديد من المدارس الفكرية الفرعية التي حاولت تنقيح النسوية والتعديل عليها بما يتناسب مع المراحل الزمنية والأطر الثقافية والجغرافية فنجد أن الفكر النسوي خضع في كل مرحلة لمزيد من التحديث،ولايزال– إلى وقتنا الحاضر– يشهد المزيد من التطوير المستمرمع تغير مساحات الحركة للفكر النسوي بالتزامن مع التطور التكنلوجي الحديث وظهور مااعتبره العديد من النشطاء موجة رابعة للنسوية سميت "النسوية الالكترونية" ..

فالنِسوية بدأت حركةً سياسيَّةً اجتماعيَّةً ترى أنَّ النّظام المجتمعي السائد نظامٌ أبويٌّ ذكوريٌّ، يتخذ الرَّجل فيه دور "المركز" والمرأة فيه لها الدَّور الثانوي الآخر المساعد فدعت إلى مساواة الجنسين سياسيّاً واقتصادياً واجتماعياً ونيل المرأة الحقوق التي يتمتع بها الرَّجل ثم تطوَّرت هذه الحركة السِّياسيَّة إلى حركةٍ عقديَّةٍ لها رؤاها إلى الوجود وقضاياه؛ ونجحت النسوية فى أن تكون حركةٌ عقديَّةٌ للرِّجال والنِّساء معاً فالحركة النِّسوية الأولى طالبت في القرن التِّاسع عشر بالمساواة الاجتماعية

والقانونيّة بين الرَّجل والمرأة، اما الحركة النِّسوية الثانية فأفكارها من كتاب كيت ميليت عن"السِّياسات الجنسيَّة" وكتاب فردريك أنغلز (أصل العائلة والملكية الخاصّة) وجاء فيهما أن النِّظام الأبوي (البطريركي) قام على سيطرة الرَّجل على الأسرة واضطهاده للمرأة وأنَّ هذا النِّظام ليس النِّظام الوحيد الذي عرفه التاريخ الإنساني،فقدسبقه النِّظام الأمومي وهذا النظام عرفه التاريخ وسبق عصور التحكم والسيطرة الذكورية الذي كانت فيه الملكيّة جماعيّةً والنّسب يعود إلى الأم وفى هذه المرحلة ظهرت كتابات وابحاث عن"المرأة الإله" التى سبقت الرب الإله أو كانت معه.وظهرت كتب عن عشتار الربة فى بلاد الشام ،وايزيس الربة فى مصر القديمة والإلهة ميليتا(**Myliuta**) فى بابل.وفي بلاد الفرس الإلهة ميترا (**Mithra**)وفي أرمينيا الإلهة آنايتيس (**Anaitis**)وعلى حدودبلاد العجم الإلهة أرتميس (**Artemis**) كنماذج للألهة الأنثى.ثم حدث التطوُّر الخطير،فتمَّ الانتقال إلى النِّظام الأبوي حيث الملكيَّة خاصَّةٌ والنَّسب يعود إلى الأب،وفيه تمَّت الهزيمة التاريخيَّة للنّساء،إذ ظهر شكل العائلة الأبويّة حيث الزّواج الآحادي، وهوآحاديٌّ للمرأة فيكون دور المرأة زوجةً تنجب الأبناء وتعمل في المنزل في المدينة أو في المنزل والحقل في الرِّيف وفُرضت عليها العفّة كي يضمن الرّجل أنَّ من تلدهم هم أولاده الذين يرثونه.حدث هذا نتيجة تغيُّر موقع كلٍّ من الرَّجل والمرأة في البنية المجتمعية ودور كل منهما في هذه البنية التي تقوم على ركيزةٍ مادِّيةٍ هي عدم المساواة بين الزَّوج والزَّوجة،فالزَّوج يقوم بالعمل المنتج والزوجة تقوم بالأعمال المنزلية المجانية ،فالرَّجل هو الأقوى فسيطر وغدت سيطرته

سياسة حكمت جميع المجتمعات البشريَّة.وقد رأت الحركة النِّسويّة أنَ هذا النِّظام الذي تشكّل نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيٍّ يمكن أن يتغيَّر نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيٍّ آخرَ وهي تعمل من أجل حصول هذا التطوُّر الذي يغيِّر النظام الأبوي إلى نظام آخر يتمُّ فيه إلغاء الأسرة الأبوية. فالنسوية الحدثية،ترى أن العالم يعرف «المقهوراتٍ: وهنَّ المرأة وشعوب العالم الثَّالث» ومن يقهرهن هو الرَّجل الأبيض،ولهذا لابدّ من السَّعي للتخلّص من سلطة هذا الرجل الظالم.وتطوَّرت رؤى هذه الحركة فغدت تدعو إلى مناهضة كلِّ تمييزٍ واضطهادٍ،على أيِّ أساسٍ : عرقيٍّ أوطبقيٍّ أوجنسيٍّ،وانتجت هذه المرحلة على المستوى العربي نوع من الكتابة عند المرأة العربية:

1-كتابة المرأة بوعي قلم الذّكورة في عصور ما قبل النّهضة، ومثالها الخنساء وليلى الأخيليّة ،ورابعة العدويّة وولاّدة بنت المستكفي .

2-كتابة الأنثى الباحثة عن التّحرّروالمساواة،ومثاله معظم رائدات النّهضة والكثيرمن الرّوائيّات والشّاعرات ما بين الحربين العالميّتين الأولى والثّانية حيث برزت كتابة المرأة معاناتها الذّاتية ومطالبتها ببعض حقوقها برومانسيّة "مؤدّبة" غير متمرّدة أوثائرة تشبه فيها كتابات الرجال... ويمكن تصنيف النِّسوية العربيَّة الإسلاميَّة كما هي عليه في الأقطار العربية

1- نسويّةٌ إسلامية مستغربةٌ (تنسب للغرب): وهي حركةٌ نسويَّةٌ تتَّبع النِّسويَّة الغربيَّة،وترتبط بمبادئها ورؤاها،وقد وُصفت هذه الحركة بالتبعيَّة لهذا التيَّار أو ذاك من تيَّارات النِّسوية الغربيَّة. تقول «زهراء علي» في هذا الشَّأن:إنّ النِّسوية الغربيّة«ككل الحقائق

السِّياسيَّة،عندماتُفهم بطريقةٍ جازمةٍ،دوغمائيةٍ تملك النَّزعة لتصبح أداةً ايديولوجيةً.عرفناها هكذا خلال الفترة الاستعماريَّة عندما كانت النِّسوية تستخدم لتساعد الهدف الاستعماري والسيطرة الغربيَّة على الأراضي الإسلامية ويرى الإسلاميون أن هذا الاتِّجاه « مرفوض وتمس أفكاره الهوية الإسلاميَّة نفسها"

2– نسويَّةٌ إسلامية توفيقيةٌ،وهي حركةٌ نسويةٌ تحاول التّوفيق بين مبادىء النِّسوية الغربيّة والمبادىء الإسلاميَّة ؛وهي تفعل ذلك، كما يبدو، نظراً إلى أنَ أيّ حركةِ مطالبةٍ بحقوق المرأة،في مجتمعٍ إسلامي،لا تسوّغ مطالبها بمبادئ ورؤى إسلاميّة تحكم على نفسها بالإخفاق.وهذه الحركة انتقائيَّةٌ تنتقي من مبادىء النِّسويات الغربيَّة،ومن المبادىء الإسلاميَّة ما تراه مناسباً لها،وتحاول التَّوفيق بين ما تنتقيه، ما شكَّل اتجاهاً تصفه دلال البزري بقولها:«ورثت النِّسوية الإسلاميَّة كلّ مفاعيل اندفاعة النّسوية الغربيّة، لكنّها تنكّرت لها، وقالت:إنه الإسلام. 3– النَّسوية الإسلاميَّة،وهي حركةٌ تعمل على«متابعة قضيَّة حقوق المرأة عبرتطبيق الشَّرع الإسلامي بشكلٍ كاملٍ وشاملٍ لكافة قضايا المجتمع، بما فيها قضية المرأة والناشطات في التيارات الإسلامية يتبَّنين رأياً يؤكِّد تكامل الأدوار بين الرَّجل والمرأة. تحاول هذه الحركة أن تعيد النَّظر في «القراءة الأبويّة – الذكوريَّة» للإسلام التي سمحت باضطهاد النِّساء على ضوء الشِّرع الإسلامي.تقول زينب أنور،المديرةالتنفيذية لجماعة «أخوات في الإسلام»، وهي منظمة ماليزية تعمل من أجل حقوق المرأة في إطار العمل الإسلامي:«في مجتمعاتنا،الرِّجال يمتلكون السلطة وهم يقرِّرون ما ينبغي أن

يعنيه الإسلام، وكيف يمكننا أن نطيع هذا المفهوم المعيَّن في الإسلام المشكلة تتمثَّل، في رأي هذه الحركة في سيطرة «السُّلطة الذكورية» على فهم النُّصوص الدِّينيَّة وتطبيقها في الواقع،وليس في هذه النُّصوص نفسها.لهذا لا بدَّ من إعادة قراءة هذه النُّصوص يرى النَّاشطون في هذا التّيار،أنَّ نصوص الدِّين الإسلامي توفِّر الحياة الطَّيبة لكلٍّ من الذكر والأنثى،من دون أيّ تمييزٍ بينهما،وهذه الحياة حقٌّ لمن يعمل صالحاً منهما،وهو مؤمن

وأوجدت الحركة النسوية بالشرق نوع من الكتابات عرف بالأدب النسائى أو الانثوى.أو النسوى.وهى تسميات معربة للفمنيست الغربية ولذا حار النقاد فى تعريف المصطلح وتقول د.هدى وصفى وكان يجب أن تكتب هذة النسوية افكارها فجأت الكتابات النّسويّة العربيّة المحاربة للسّلطة الأبويّة،والّتي لم تكن بمستوى الكتابات الغربيّة في التّطرّف ومثالها كتابات:كوليت خوري، ونوال السّعداوي، وغادة السّمان، وسحرخليفة وفاطمة المرنيسى.ثم انقلب الحال فظهر شكل"الكتابة الإيروتيكية النسائية" وأثارت جدلا باعتبار حضور ذلك المحرم الذي يدعى جسداً متمثلاً في الأساس بجسد الأنثى،ولكنهن دافعن عن الجنس باعتباره بعداً هاماً من أبعاد الوجود الإنساني،متكلات على آراء الفلاسفة راسل وسارتر وسيمون دي بوفوار التي جسدت كتاباتهم للحديث عن تلك الرغبات الجميلة التي تبدأ بالكلمة وتنتهي بانفعال جنسي اعتبرته ممثلا للروح والجسد وما يربطهما.ودخلت نوال السعداوي للنسوية بقوة واصبحت (البيونير) بكتابها "المرأة والجنس1972" وهو من أشهر

أعمالها باعتباره مواجهة مبكرة في وجه عادات المجتمع وقيوده.فكان الكتاب سببًا في فصلها من وزارة الصحة.وفيه تتحدث نوال السعداوي–عبرمعالجة أدبيةوعلمية وطبيّة–عن جسد المرأة ومفهوم"العفّة" التي أُلصقت بالجسد الأنثوي حصراً، باعتبارها إنسانة من درجة ثانية وتعتبر أنّ مشكلة المجتمع العربي تكمن في الموروث الثقافي الذي لا يرى في الأنثى سوى "جسد" من دون انتباه الى عقلها وكيانها وإبداعها.لقد نقلت السعداوي عبر هذا الكتاب التقدمي حقيقة المجتمع الريفي من خلال تقديم صورة "الداية" و"قطرات الدم" و"فخر الأب" و"أنواع الغشاء" وأمور أخرى كثيرة شغلت بال كثير من الأسر، ووصلت في أحيان الى حد قتل الفتيات لمجرّد أنّها لم تنزف في ليلة الدخلة.ومن خلال هذه الشواهد، قدّمت السعداوي طرحا جديا لمفهوم الدمج المجتمعي من خلال المساواة بين الرجل والمرأة واعتبر الكتاب من وجهة نظر الغرب إنتفاضة مصرية جديدة للمرأة تشبة مظاهرات النساء فى 1919م واعتقد أنيس منصور (أن المرأة فى هذة الموجة تكتب لتقول لا على القيود البالية،ولا لطغيان الرجل،ولا لاستبداد الرجولة وقبلها لا لضعفها هى،ضعف المرأة)وسمى هذه الكتابة بأدب الأظافر الطويلة فالمرأة بأدبها هذا تخربش الرجل وتحاول جرحه.وسمّاه «إحسان عبد القدُّوس» «أدب الرُّوج والمانكير»إذ رأى فيه أدباً صوتيّاً وشكليًّا.وكما قلت فى كتابى "اعترافات نساء أديبات":(في الماضي كان الرجال يحدقون في صدر المرأة،ثم تحول نظرهم إلى سيقانها بعد أن كشفت الموضة مفاتن الركبة،

وجاء الوقت الذي يهتم به الرجل بكتابة المرأة الوقت الذي يتوارى فيه الجسد ويبرز العمق فأنا رجل يرى جمال المرأة في رحلتها مع الورق،الإبداع عندي دليل جمال،دعيني اغازل قلمك الجاف سيدتي)

حملت أسئلة وتساؤلات ، وأوراقا ووثائق ، وارتحلت إلى معبد ثقافي جميل في القاهرة حيث موعد مع إحدى العرافات التي تملك تعويذه مستقبلية لهموم المرأة،مع ناقدة واساتذة وصاحبة نظرية فيما تكتبه المرأة..تقابلت مع د. هدى وصفي في مسرح الهناجر !! التى قالت :.(المرأة لا تعامل الكتابة بحرية مثل الرجل ومثل رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم ..لأنه حتى أفعالها المتحررة ،تجد تبريرها الرخيص في أن ما حدث رد فعل لقهر وقع عليها، فالمرأة حتى في الكتابة تعامل كصدى.كرد فعل .حتى القوانين الموجودة تعيد في للأذهاب أفكاراً سلفية : كقبول الزوجة الثانية وحق الرجل في منع أمرأته من العمل والتأكيد على قيم عودة المرأة للمنزل فالمرأة هي حاملة الثقافة والقادرة على التأثير في الصغير ومن ثم يعتمد عليها في إعادة صياغة الكون فهي التى تقول للصعير: (أمنا الغولة) وهي التي تقول له : (لا تخاف الظلام) المرأة هي الوعاء الأول للثقافة والمفاهيم التراثية،ونحن لا نطالب إلا المساواة الحقيقية !!) وبدأت أسئلتى تلاحقها: الحركة النسوية التحررية بدايتها في مصر .. والبلاد العربية بداية ذكورية ، فقد بشر بها الطهطاوي "في تخليص الإبريز" ورسم طريقها قاسم أمين في كتابيه "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة" !! وقالت د. هدى الحركة النسوية المصرية كانت جزءا من استقلال الوطن ولم يكن تحرير المرأة إلا جزءا من سياق اجتماعي للاختلاف مع الغرب والخروج

ضد المستعمر ، واعترف بأن الدعوة بدأت ملتبسة سواء أكان ذلك بحسن أو سوء نية . ففى 1923 حدث حادث مهم في حياة الحركة النسوية وهو خلع الحجاب الذي قامت به هدى شعراوي وكان مطلباً استقلالياً ضد المستعمر الانجليزي ، وليس مطلباً أنثوياً بالمساواة بالرجل،كما ظن بعد ذلك! وجاء مع أحداث ثورة 1919 وما تلاها.. لكن هناك تاريخ آخر مهم في تاريخ المرأة وهو 1972 حينما صدر كتاب "المرأة والجنس" لنوال السعداوي هنا كان من الواضح ان المرأة تريد أن تعلن أنها كائن مساو للرجل ويجب العناية به ، يشعر كالرجل تماماً وهذا فعل أنثوي ليس له رائحة رجولية .قلت لها : هل تتذكرين يا دكتورة أن الحركة النسوية كانت حركة هوانم،وأرستقراطية ولم يكن لها جذور شعبية ؟! اجابت د. هدى :كل الحركات النضالية والثورية تبدأ كأفكار أرستقراطية عند المثقفين ولكن يستفيد منها باقي المجموع ..والحركة المصرية النسائية كما قلت كانت ضمن سياق اجتماعي لمحاربة الانجليز (فدعوة تحرير المرأة) كانت معاكسة تماماً لما هو موجود في الغرب وقتها ولم تكن تقليد لها. بل إن قاسم أمين كان يريد أن يثبت أن الإسلام يضع المرأة في مرتبة أعلى من الغرب. ويقال : إنه اشترك معه الشيخ محمد عبده في كتابه "تحرير المرأة" ولكن المرأة استجابت فيما بعد وقامت بالدور الآخر في تأكيد الدعوة لحرية المرأة .قاطعتها بسؤال قلماذا قيمة المرأة الفرنساوية هي التي سادت فى حركة تحرير المرأة ؟! سواء حينما كتب الطهطاوي أو قاسم أمين او حينما خرج كتاب نوال السعداوي (المرأة والجنس) وقتها قيل : إنها متأثرة بكتاب "سيمون دي

بوفوار " " الجنس الثاني" ؟! قالت د. هدى:هذا يرجع للسياق التاريخي فمعروق أن "محمد علي" استعان بالجنرالات الفرنساويين بعد هزيمة نابليون وأن انجلترا اعتبرت ذلك ضدها ، وإن مصطفى كامل فعل نفس الشيء مع فرنسا وعلاقته بـ " جوليت أده ".. فالثقافة الفرنسية كانت جزءا من مقاومة الاستعمار الإنجليزي ، لأنه كان يعتقد أن إنجلترا وفرنسا أعداء !!..ولو رجعت لثلاثية نجيب محفوظ مثلا رأيت أن "سي السيد " أو أحمد عبد الجواد يتمنى انتصار هتلر على انجلترا،سياق اجتماعي ضد هذا الاحتلال الذي جثم علينا أكثر من سبعين سنة بالطبع مس هذا حركة تحرير المرأة كجزء من حرب تحرير الوطن كله قدمت لها صور المؤتمرات الخاصة بالمرأة من عام 1975 وما تقدمت به المرأة من أوراق وطالبت به بيوتوبيا جسدية ..قالت: النبرة العالية ورد الفعل الشديد دليل على مدى القهر الانثوي الذي تعرضت له المرأة فجاء ما قالته من مطالب ومن حدة..بل إنه أصبح هناك نقد يسمى" بالنقد النسوي " وكانت النبرة عالية للغاية بل إن الموقف الفكري كان منقسما في هذه الفترة ولكن بدأت المسائل تقترب من التوازن مع بداية الثمانينات وبخاصة فى (مؤتمر نيروبي 1985) والنظر للأمر بأنه ليس صراعا مع الرجل وإنما لابد من التعايش مع البشر والتقارب بين الرجل والمرأة بدأ ينظر لقضية المرأة في إطار ثقافي لتقريب الأفكار وتكييف الظروف،وجعل المساواة سهلة في العلاقات بين البشر..ولكن مع ظهور العقدة الاقتصادية والغنى والفقر والشمال والجنوب وغضب الطبيعة وجدنا أشياء أخرى.المرأة في شمال أفريقيا تترك سيادتها في بلادها لتعمل أي

شيء في بلاد أخرى (كأعمال الخدم مثلا)؟! وفي آسيا فالمرأة في آسيا وبخاصة في الهند والصين في حالة يرثى لها وتعمل بسهولة فى الدعارة؟! وفي مصر ظهر الزواج العرفي بين فتيات قاصرات وكهول وبالتالي أصبحت المرأة تنظر لمشكلتها بشكل مختلف..وبشكل متصل بمشاكل مجتمعها.وشعرت بأنها ليست وحدها في مأزق،بل الرجل الآن هو الذي في مأزق أشد ومن هذه النظرة الجديدة جاءت العناية بالمرأة وبالثقافة وظهرت أفكار جديدة (كتهذيب المتوسط) قلت لها مقاطعا : أية حكاية المتوسط ؟! قالت: إن الغرب يخاف من البحر المتوسط ففي الشمال أغنياء وفي الجنوب فقراء فأصبح الأغنياء يخافون ثورة الفقر ولهذا بدأ التدخل لتهذيبه، فهو بحر طول عمره حروب ودماء ..وجاء ذلك في شكل تكافل اجتماعي عن طريق مراكز ثقافية .وعن طريق العناية بالمرأة . قلت لها : انت تدركين معي أن كل شيء بثمن وأن المرأة يلعب بها الآن كاستقطاب عالمي تغلفه الثقافة ! ضحكت د. هدى وقالت : إن الغرب برجماتي لأقصى درجة إنه ينظر إلى علاقة الطفل بثدي أمه بأنها علاقة جنس ومتعة (مثلما قال فرويد) فكيف لك أن تعتقد بغير ذلك .. في أمور الفلوس والاقتصاد ؟

2

لدنيز–كانديوتي كتابا ممنوعا عربيا معنوان "بنسوية الدولة" ترجم بعنوان (التفاوض مع الذكورية) وفيه تشرح معنى نسوية الدولة فترى أنها الإجراءات والممارسات والقوانين التى تسنها الدول فى طريق حصول المرأة على المساواة الكاملة مع الرجل، وهى وترى أن النسوية لن تهدأ حتى تعيد العالم للعصر الأممى"حين كان نسب الأولاد للأم" وحين كان الإله أنثى؟! فالمرأة الإله التى سبقت الرب الإله أو كانت معه. ظهرت فى:(عشتار الربة فى بلاد الشام،وايزيس الربة فى مصر القديمة والإلهة ميليتا Myliuta فى بابل.وفي بلاد الفرس الإلهة ميترا Mithra وفي أرمينيا الإلهة آنايتيس Anaitis وعلى حدود بلاد العجم الإلهة أرتميس Artemis)وقدرصدت الحركة النِسويّة التطوُّرالخطير،الذى تم بالأنتقال إلى النِظام الأبوي حيث الملكيَّة خاصَّةٌ والنَّسب يعود إلى الأب،وفيه تمَّت الهزيمة التاريخيَّة للنّساء،إذظهرشكل العائلة الأبويّة حيث الزّواج الآحادي،وهوآحاديٌّ للمرأة فيكون دور المرأة زوجةً تنجب الأبناء وتعمل في المنزل في المدينة،أو في المنزل والحقل في الرّيف وفُرضت عليها العفّة كي يضمن الرّجل أنَّ من تلدهم هم أولاده الذين يرثونه.حدث هذا نتيجة تغيُّر موقع كلٍّ من الرَّجل والمرأة في البنية المجتمعية ودور كل منهما في هذه البنية فالرَّجل هو الأقوى فسيطر وغدت سيطرته سياسة حكمت جميع المجتمعات البشريَّة ،وأنَ هذا النِظام الذي تشكّل نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيّ يمكن أن يتغيَّر نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيّ آخرَ، وهي تعمل من أجل حصول هذا التطوُّر الذي يغيّر النظام الأبوي إلى نظام آخر يتمُّ فيه إلغاء الأسرة الأبوية التي تقوم على عدم المساواة بين الزَّوج والزَّوجة – تقول

دنيزكانديوتي (يعتبر التحكم في أجساد النساء جزءا أساسيا من عملية تشكيل السلطة والدول القومية الحديثة فأجساد النساء كانت أداة أساسية لتحديد هوية الدولة بعد الاستعمار في دول المنطقة العربية وتمثل أجساد النساء الحدود الفاصلة بين هوية والأخرى)

ويتحدث الكتاب ضمن مايتحدث بتوسع عن موجات للحركة النسوية المصرية (نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من الخمسينيات إلى السبعينيات ومن الثمانينيات إلى ثورة 2011) وغالبا ما يتم ربط الموجات بسؤال الجسد والحقوق الجسدية، ويعتبر الجسد هو الشيء الرئيسي الذي تعمل من خلاله السلطة الأبوية – سواء كانت تمثل الدولة أو المجتمع للسيطرة الأبوية – وهى ترى أن فى احيان كثيرة تكون الدولة اكثر نسوية من المجتمع وذلك مع انتشار جماعات التطرف والتى جعلت المرأة عورة؟! وتتخذ ممارسة السلطة على الجسد أشكال عدة مثل استخدام عقوبة الحبس والسجن،مع المختلف عنها مجتمعياً وبالطبع ممارسة أشكال من العنف الجسدي والجنسي ضد النساء سواء لأسباب "سياسية" أوجندرية خالصة، وربما يكون هذا التناقض المرتبط بكون الجسد شئ حميميا بشدة وسياسيا بشدة هو الذي يجعل منه سؤالاً معقداً فربما يكون سؤال الجسد تحديدا هو أكثر الأسئلة المعبرة عن نظرية (كارول هانيش) :"الشخصي هو السياسي" من حيث أن هذه الأداة الشخصية هي في الأصل مسيسة وتعكس علاقات القوى وديناميكيتها ،وبالتالي تكون التجارب المرتبطة بالجسد هي تجارب تستحق وينبغي طرحها في المجال العام والسياسى وتوثق للنسوييية المصرية مشاركات مختلفة

للنساء قبل ثورة 1919بل وتظهر استهداف الدولة إلى أجسادهنّ كذلك باشكال شديدة العنف.فهناك أدلة تاريخية عن مشاركة النساء في انتفاضات وحركات تمرد عام 1840 و 1863 كما شاركن في انتفاضة 1865 وقُبِض على أعداد من النساء تداولت أخبار عن تعرضهنّ لأشكال من العنف الجنسي والجسدي وتوجد أيضاً دلائل على إلقاء القبض عليهنّ خلال أحداث الثورة العرابية للقيام بأعمال "شغب" تبرهن هذه الأمثلة على شيئين معاً، أولاً أنّ تجربة مشاركة النساء في ثورة 1919 لم تأتِ من فراغ بل سبقتها عدة تجارب مرتبطة بحضور هذا الجسد وانتهاكه وفي نفس الوقت أن أحداث 1919شكلت لحظة شديدة الخصوصية لدى هؤلاء النساء ووعيهنّ بأجسادهنّ.ففى 16مارس 1919وقبل خروج النساء فى مظاهرات وطنية احتجاجاً على نفى سعد زغلول والتصاقاً بثورته الوطنية دارت مكلمة حول الوطنية والنسائية كان طرفها النساء فى جهة بقيادة صفية زغلول وهدي الشعراوي وأقطاب الوفد الذكور فى طرف آخر ووصل الأمر بالذكور لحد رفض الدور الوطنى للمرأة!! وإذا بصوت عبد العزيز فهمي يعلو: إنى أعجب أن تقترح سيدة عاقلة مثل صفية هانم مظاهرة النساء فى الشوارع؟!ويذهب لبيت الأمة ويحاول أن يمنع ذلك ويعود خائباً فيقول فى اجتماع موسع بالحزب:أنه يخشى أن تكون النساء قد أصابهن نفى سعد بهزة أثرت على عقولهن ! وظهرت عبارة لصفية زغلول قوية ومؤثرة: إن نساء مصر لسن أعضاء فى الوفد.ولا توجد امرأة تمثلهن فى الوفد. ولهذا ليس من حق الوفد أن يصدر الأوامر إليهن.إننا نخرج التزاماً بقضايا

بلادنا ولانخرج لنؤيد سياسةحزب!! وهرول(عبد الرحمن فهمي) متطوعاً أن يقنع صفية هانم زغلول نظراً للعلاقة الوثيقة بينه وبينها، ولم ينم عبد الرحمن فهمي الليل!! إنه لم يستطع أن يفهم لماذا تريد أن تخرج المرأة بنفسها فى السياسة؟! وكان أكثر ما يزعجه موقف زوجة زعيمه سعد زغلول.إنها تريد أن يخرج النساء للشوارع فى الوقت الذى وقفت تحدثه من خلف الباب حين ذهب اليها إنه لم يرها بل سمع صوتها فقط؟! فقط وراء الحاجز!! ولولا الحاجز!! ولولا أنه يعرفها ويعرف صوتها لاعتقد أنها غواية من الأخريات...

ومع استشهاد أول امرأة مصرية في ثورة 1919وإصابة العديد من النساء في تعامل شديد العنف من قبل الشرطة والانجليز تعددت انتهاكات جسد المتظاهرات وصيغت الأسئلة النسوية المتعلقة بالعنف الجسدي والجنسي ضد النساء في المجالين الخاص والعام من قبل الدولة والمجتمع كان سؤال الجسد في المراحل الأولى لتكوين الحركة النسائية مرتبط أولاً بالمعركة المتعلقة بتواجد النساء في الحياة السياسية والحزبية والجامعات– أي المجال العام فربما شكلت المشاركة الجماعية للنساء في أفعال احتجاجية كنساء حتى وإن لم يرفعن مطالب متعلقة بحقوقهنّ إشكالية ذكورية متعلقة بالعفة الشرف، وتعرضهنّ لانتهاكات وعنف لحظة إدراك جماعي بأحقية تلك الأجساد بأن تكون حاضرة في المجال العام وربما من هنا جاءت رغبة النساء في تنظيم أنفسهنّ بشكل جماعي بدءاً من لجنة الوفد المركزية للسيدات1920 إلى تشكيل الاتحاد النسائي في مارس 1923لينظمنّ أنفسهنّ بشكل ليس فقط جماعي بل أيضا مستقل

للمطالبة بتلك الحقوق.ولذا سارعت هدي شعراوي بتقديم استقالتها من (لجنة نساء الوفد) واعتزرت عن الاستمرار عندماوجدت (سعد زغلول) غير مهتم بأن يكون النساء عضوات عاملات فى الحزب مكتفياً بأن يعملن منتسبات خلف أزواجهن أعضاء الوفد واعتقدت (هدي شعراوي) بأنه فى لحظات الخطر لا يبدى الرجل أى اعتراض لظهور المرأة بجواره ولكنه يغير نظرته إليها أذا طالبت بذاتها وكونت اتحادها النسائي منفصلة بقضية النسائية،جاعلة الوطنية من خلال رؤيتها الخاصة كأنثى – آى مفضلة النسوية على الوطنية دون الإنفصال عن الوطنية –.وإن كان سعد زغلول قد أوضح بشكل مباشر للزعيمة الوفدية الجديدة التى تولت لجنة نساء الوفد بعد هدي شعراوي– منيرة ثابت– إنه لا ينكر حركة المرأة وحقوقها ولكنه يؤجلها– وإن التأجيل لا يعنى الإنكار وإنما يعنى الانشغال بما هو أولى،وطالبها بأن تضع التحولات الوطنية والأعراف والميراث الاجتماعى فى الاعتبار..وهناك جانبين مهمين في مذكرات شعراوي وهو أولا تشديدها على أهمية "مرئية" الجسد لتواجده في المجال العام وأن السفور "شر لا بد منه" للمشاركة في الحياة العامة والسياسية وثانيا التهديد الذي يبدو أن شكله هذا السفور وتواجد أجساد النساء بشكل منظم في المجال العام للبنية الأبوية في المجتمع.كان سؤال الجسد في المراحل الأولى لتكوين الحركة النسائية مرتبط أولاً بالمعركة المتعلقة بتواجد النساء في الحياة السياسية والحزبية والجامعات– أي المجال العام فربما شكلت المشاركة الجماعية للنساء في أفعال احتجاجية "كنساء"حتى وإن لم يرفعن مطالب متعلقة بحقوقهنّ وتعرضهنّ لانتهاكات وعنف لحظة إدراك

جماعي بأحقية تلك الأجساد بأن تكون حاضرة في المجال العام لما استطاعت أن تحققه من حراك ولما تحملته من أثمان لاتختلف عن نظرائها من الرجال ومع الترسيخ لاستمرارية وجود هذه الأجساد في المجال العام حتى بعد انتهاء أحداث الثورة،وهو ما لم يكن محل إجماع سواء من قبل المجتمع عموماً أو الزملاء في العمل الوطني،على عكس احتفائهم بمشاركتهنّ في التظاهرات والدور "الوطني" الذي قمنّ به. وتوضح شعراوي في خطاب أرسلته إلى سعد زغلول عن ضجر أعضاء الوفد من إبداء النساء،بل وتصريحهم أنه"لا يجوز للنساء التدخل في الأمور السياسية" فلم تعتبر شعراوي ونبراوي قرار خلع حجاب الوجه قراراً "شخصياً"، بل كان هناك وعي أن هذا القرار قراراً سياسياً أو علنياً مرتبط بتواجدهنّ في المجال العام،وأن أجسادهنّ يمكنها أن توصل رسائل سياسية شديدة الوضوح حول النساءوحقوقهنّ.بالتالي شكلت تلك اللحظة إعلان ما مرتبط بتحرر أجساد النساء –نسبيا– للتواجد في المجال العام وأن شرط تواجد تلك الأجساد في المجال العام هو أن تكون مرئية من الأساس..وظل الجسد حائرا فى مذكرات شعراوي حول زواجها المبكر من رجل في سن والدها " شعراوى باشا" وشعورها بالعنف والتعاسة،فقد كان عنده ولد من زوجة طلقها أكبر منها سنا،وعاد لها بعد زواجه منهاوتركت فراشه لكرامتها مدة 7سنوات،كانت تعانى بنسويتها وتكافح بوطنيتها أما الثورة الكبرى ففى سنة 1906حينما فوجئ على الشعراوى أثناء صلاة الجمعة بإمام جامع سلطان أبو العلا. يسب ويصب لعناته وويلاته على امرأة تدعو للفسق والفجور قال الشيخ: آفى المحروسة

والإسلام بين أظهرنا، تخرج بدعة. بإنشاء نادى خاص للنساء لمزاولة الرياضة واللعب والسباحة.. ما يتبع ذلك من هرج وسفور ومرج وتبرج.. وأنهى الشيخ خطبته بأنها بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار..وغضب علي الشعراوي مع الغاضبين ودعا مع الشيخ والداعين:- اللهم أسكت كلمتها وأوقف بدعتها.وقال الشعراوى- أمين.- ودعا الشيخ "اللهم رد دعوتها ومن يدعون معها بها وأرجعهم خائبين مدحورين. " وكرر الشعراوى "آمين."..

وعاد الشعراوي لمنزله وعلى مائده الغذاء سمع زوجته هدي شعراوي وفوجئ بأنها صاحبة الفكرة إياها زوجته المصونة والجوهرة المكنونة تدعو لنادى خاص للنساء يلبسن فيه الشورت والمايوه ويلعبن السباحة!!..وسألها زوجها:سيزا نبراوي زنت على ودانك كعادتها!! لكن الروايات تجمع على أن حب (هدي شعراوي) كان قوياً ومؤثراً على (علي شعراوي) فكان يعترض عليها ولكنه لا يستطيع الفكاك منها. يثور ويكسر الأطباق ويترك المنزل للريف الذى أحبه ولكنه لا يعرقل مسيرتها ولا يهدم أعمالها ولا يقف ضدها.وتتفق الروايات على أن جرائة هدي شعراوي كانت وراء دفع (علي شعراوي) فى حزب الوفد. وأنها سعت بقوة ليكون زوجها مشاركاً بشكل تاريخى فى الحركة الوطنية، ولعل يوم 13 نوفمبر 1918 كان بداية إيمان علي شعراوي (بزوجته هدى)..فقد كانت وراء أقدامه على مشاركة سعد زغلول وعبد العزيز فهمي فى مفاوضات الإنجليز مع (سير رونالد) وعرض القضية على مؤتمر الصلح فى (فرساي) وبأسماء الثلاثة وقع المصريون على عريضة تاريخية وغريبة عليها

ثلاث ملايين توقيع بأن الثلاثة ممثلين للأمة فى قضية الاستقلال مع الإنجليز.وهكذا أسست فاطمة نعمت راشد الحزب النسائي المصري في 1942كما كانت (درية شفيق) قد بدأت في تحرير مجلة "المرأة الجديدة" عام 1936ثم أسست مجلة بنت النيل في 1945ثم اتحاد بنت النيل عام 1948وتكرر مشهد المسيرات النسائية بعدما أصبح هناك إدراك للقوة الاحتجاجية الجماعية لتلك الأجساد او كونها تتشارك شئ ما،مثل المسيرةالتي قادتها دريةشفيق برفقة 1500سيدة والتي اقتحمت البرلمان المصري بفبرايرعام1951للمطالبة بحقوق النساء السياسية وكذلك مسيرة النساء الكبرى في نوفمبر1951لدعم المقاومة الشعبية في منطقة القناة وشاركت فيها العديد من النساء آنذاك (مثل درية شفيق وسيزا النبراوي) قالت درية شفيق لأحد الزعماء البرلمانيين وهو يحاول إيقاف تظاهرة نسائية,"نحن هنا بقوة حقنا"،وهو ما كان له الأثر الأكبر في التاريخ المصري، جمعت حشداً من 1500امرأة في قاعة محاضرات في الجامعة الأميركية في القاهرة لما وصفته "بمؤتمر نسوي". لكنه لم يكن سوى حيلة لخداع الشرطة، بينما كانت لديها خطط أخرى أعلنت قائلة: "اجتماعنا اليوم ليس مؤتمراً بل برلماناً.برلمان حقيقي! للنساء." بعد ذلك بلحظات،كانت تقود جيشها النسائي وهو يجتاح البوّابات الرخامية متوجّهاً إلى البرلمان المصري الذي كانت مقتصراً على الرجال،"برلمان النصف الآخر من الأمة" أغلقت مظاهراتها المجلس التشريعي أكثرمن أربع ساعات،حتى تعهّد رئيس المجلس الأعلى بالنظر في مطالبهن الرئيسية:حق المرأة في التصويت وتولّي المناصب.(لم يتطرّق إلى مطالبهن

الأخرى،كالمساواةفي الأجور وإصلاح قوانين الزواج والطلاق.) ولم تكن التجربة الناصرية استثناء،كانت المفارقة في نسوية الدولة بارزة فى التناقضات ما بين الإطار التقدمي المتعلق بحقوق النساء في المجال العام وقانون الأحوال الشخصية الأكثر محافظة الذي يحكم النساء في المجال الخاص،فبينما أثرت تلك السياسات حيث ارتفعت نسبة مشاركة النساء في سوق العمل إلا أن قضايا الأحوال الشخصية والمجال الخاص– المتصلة بشكل وطيد بأجساد النساء– ظلت كما هي ولم تحظ بنصيبها من التحديث. وبالرغم من تفاؤلها في بداية حكم الضباط الأحرار، إلا أن آمالها سرعان ما تبخرت مع تشكيل لجنة خالية من النساء لوضع دستور مصر الجديد فقادت شفيق إضرابها الشهير عن الطعام في نقابة الصحفيين مع 8 من زميلاتها عام 1954للمطالبة بحقوق النساء السياسية،ونظر عبد الناصر لصور درية شفيق بحواجبها المميزة واناقتها الشديدة وطلب تقارير عنها واندهش فلها علاقة بهدى شعراوى،حتى أنها زوجتها من الصحفى أحمد الصاوى وكانت حفلة زفافها فى قصرها؟!وعندها دكتوراة من بلاد الفرنجة (فرنسا) وقدرة على التأثير فى النساء وفوق ذلك جسد ديناميكى جميل يتحرك بقوة – ولم يرتح ناصر. وتحركت درية شفيق أضربت بقوة وحيدة بلاطعام1957في السفارة الهندية اعتراضا على "ديكتاتورية" عبد الناصر نفسه هكذا خبط لزق؟!وتدخل نهرو بنفسه رافضا أن يقبض عليها من السفارة ووصل لإتفاق بأن تصل بيتها بأمان وتنهى اعتصامها..واندهش الضباط الاحرار(من هذه التى وصلت لسفارةالهندواقنعتهم بقضيتها،حتى أن نهرو يكلم عبد الناصر بخصوصها؟

ولم يجدوا عندهم غير أن الجمال والدلال يكسركل الابواب!!) ولم تهدأ درية شفيق وجاء لها ومن انجلترامراسل جريدة "ذسكتشمان" لتقول له :"إن الطلاق في مصر بوضعه الحالي أمر يسيرجدًا فالزوج المسلم له الحق في أن يطلق زوجته بمجرد قوله: أنت طالق أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات،فإنه لا يزال شائعًا بين الطبقات الفقيرة ".. الذي كتب يقول: "إن الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل كما أوضحتها الدكتورة درية شفيق:منح المرأة حق الأقتراع وحق دخول البرلمان، والمطمع الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوروبية في مصر" وجاء أخطرالتصريحات المجنونة،ذلك التصريح الذي نشرته مجلة الايبوكا الإيطالية حيث قالت:" إن السيدة درية شفيق مشحونة بالظرف،وذات نظرات خطيرة وجاذبية باريسية،وأنها الصديقة المسموعة الكلمة لدى الجنرال"محمد نجيب"الذي وعد الحركة النسوية بالتأييد والتقدير "

.وبطبيعة الحال كان هذا التصريح من الجريدة الأجنبية للتوريط ليقرر عبد الناصر تجميد هذا الجسد وقف حركة الحواجب عند الخطابة والأناقة عند الظهور،قررإيقاف درية شفيق.وهو ماتسبب في وضعها تحت الإقامة الجبرية،وتلى وضع شفيق تحت الإقامة الجبرية العديد من أمثلة تقييد الحرية التي عانت منها النساء النشاطات فتم كذلك القبض على"وداد متري" عام 1959 لإتهامها بالشيوعية وقضت خمسة أشهر في السجن وتم اعتقال "انجي أفلاطون" أيضا في نفس العام حيث قضت أكثرمن

أربع سنوات في السجن قبل خروجها عام 1963،واثرت الدولة على زوجها د. نور الدين رجائى بالأشاعات ضدها وهو زوجها الثانى فطلقها وأخذ اولاده منها،جمدها ناصر ببيتها لمدة 18عاما من العزلة حتى وفاتها الغريبة في 1975،وقعت من بلكونتها وقيل اوقعوها أو رموها، وقال "مصطفى أمين" أنها انتحرت ضاقت الدنيا بالجسد،ضاق الجسد حتى على الروح.وبسرعة كان القرار (عاوزين وزيرة راجل،واشترط عبد الناصر إلا تكون مثل درية شفيق،عايزها متفرقش عن على ومحمد فى مجلس الوزراء، مش عايز حواجب ودلع درية شفيق ؟!) واصبح يعرض على (عبدالناصر) صور للوزيرات المرشحات،وليس السيرة الذاتية لهن! ونجح مصطفى أمين فى الوصول للهدف،لتكون "حكمت إبو زيد" اول وزيرة فى حكومة الثورة.وهكذا تم إزاحة أجسادالنساء من المجال العام فالوصول للمجال العام كان له شروطه فلامكان للأجساد المحتجة أو غيرالمطيعة ؟! فعلى الرغم من رفض عبد الناصر للنموذج الأخوانى للمرأة ورفضه تحجيب النساء كما طلب مرشد الأخوان وقتها فإن النظام الأشتراكى الذى اختاره كانت له شروطه على الجسد ايضاً اوجد نموذج المرأة العاملة.وفي نفس السياق نجد الطبيبة والكاتبة نوال السعداوى تعلن تبنيها لنموزج المرأة العاملة وتعلن الاعتراض على حواجب "درية شفيق" وتقول "المهم نظافة جسد المرأة مش زواق المرأة" وتقدم نفسها للمجتمع الجديد بوجة مغسول بلا مكياج وبنضارة بدون برفان! وبعد عبد الناصر سعت السعداوي للتصدى للثقافة المكرسة لسلطة الجسد الذى يحط من قيمة المرأةويختزلها في مجردوظائف بيولوجية وفيزيولوجية دون الأخذ بعين

الإعتبارلفكرهاوعقلها.ووقفت ضد النموذج (الراسمالى– الهليودى)للمرأة الذى يقوم على جمال الشكل والقوام انها ضد امرأة عصرالإنفتاح الامريكى والتطبيع اليهودى ففي كتابها "المرأة والجنس" 1972بينت أن الفتاة منذ طفولتها يتم تنشئتها بكونها مجرد أداة للجنس فقط إذ تعلم كيف تكون مجرد جسد جميل فقط دون فكر وذلك بهدف جلب إهتمام الرجل واغرائه.ووقفت بشدة ضد ختان الإناث،وبعد 10 سنوات من كتاب السعداوى تتحرك نسوية الدولة ليتم تجريم ختان الإناث في المادة 242 مكرر من قانون العقوبات وبالرغم من الإشكاليات العديدة المرتبطة بالتطبيق إلا أن وجودها في حد ذاته كان يعد انتصارا بعد سنوات من النضال.

واستمرت قضية الجسد تشغل مكانا محوريا حيث بدأ يتشكل حراك حول قضية العنف الجنسي والعنف ضد النساء عموما فكانت هناك أكثر من واقعة مثيرة للجدل جعلت هذه القضية شديدة المركزية بالتدريج ففي 25 مايو 2005 فيما يسمى ب"الأربعاء الأسود" تم الاعتداء على صحفيات وناشطات أثناء تظاهرات رافضة للتعديلات الدستورية من قبل مواطنين في حماية الدولة.وفي الأسئلة المتعلقة بالجسد،أمام نقابة الصحفيين مثلت انتهاكات جنسية موجهة لأجساد المتظاهرات تهدف إلى إزاحة أجسادهن من المجال العام. وإذا كان استخدام العنف أو الحبس تجاه أجساد النساء "المحتجة" أو المعارضة للسلطة أيا كانت أمر معتاد في الأزمنة المختلفة،إلا أن استخدام انتهاكات جنسية موجهة للنساء على أساس نوعهن بهذا الوضوح كان

أمر فارق.وبدأت قضية العنف الجنسي في البروز بشكل واضح فيما بعد كجريمة واتنهاك مراد بهما إزاحة أجساد النساء من المجال العام، إلا أنه بدا من الواضح في الأحداث التي تلت الأربعاء الأسود أن هذه الجريمة لا تمارس فقط من قبل فاعلي الدولة ولا تستهدف النساء المسيسات فقط بل تمارس من قبل فاعلين مجتمعيين ومواطنين عاديين.فشهد2006 اعتداءات جنسية جماعية في عيد الفطر أمام دور السينما بوسط البلد عرف بالتحرشات الجماعية وفي 2008 حصلت (نهى رشدي) على أول حكم متعلق بقضية تحرش جنسي حيث تم حبس المتحرش ثلاث سنوات وكانت قضية التحرش الجنسي قد اكتسبت زخما كبيرا.ففي العام نفسه شكلت 16 منظمة "قوة عمل مناهضة العنف الجنسي"

وهكذا أصبح الجسد في حد ذاته هو مركز مطالب الحركة النسوية. وشهدت أحداث ثورة يناير وتبعاتها وقائع عنف جنسي مروعة في محيط التظاهرات والتجمعات، بالأخص الفترة مابين 2011 و 2014،وبدأت جرائم العنف الجنسي الموثقة منذ فبراير 2011 عندما تعرضت مراسلة أجنبية وهي مراسلة قناة سي بي اس إلى اعتداء جنسي جماعي أثناء تغطيتها للأحداث في ميدان التحرير. وخلال عام 2011 كان التركيز الأكبر على انتهاكات قوات الشرطة العسكرية ضد أجساد المتظاهرات ففي 8 مارس 2011 وهي أول مسيرة انطلقت من أجل المطالبة بحقوق النساء في الثورة، تم التعدي على المسيرة وتحرش مواطنون مجهولون بالمتظاهرات، وفي اليوم التالي(9 مارس) قامت القوات العسكرية بفض التجمع الموجود في ميدان التحرير وتم احتجاز بعض المتظاهرات وإجراء

كشوف عذرية إجبارية لبعضهن،وأثار هذا الحدث انتباه العديد من النساء والمجموعات النسوية حيث شكل بشكل واضح تعدي فاعلي الدولة على أجساد النساء واستخدام جنسانياتهن لترهيبهن وتشويههن مجتمعيا.وتكرر ذلك في نهاية العام فيما عرف بحادث "فتاة الصدرية الزرقاء" حيث قامت قوات الشرطة العسكرية بسحل متظاهرة وتعريتها أثناء أحداث مجلس الوزراء في ديسمبر 2011 وسط قبول مجتمعي ألقى اللوم على الفتاة.وخلق حراكا حول هذه الأحداث تدين بوضوح تعامل فاعلي الدولة مع المتظاهرات وانتهاك أجسادهن،وكان جزء من هذا الخطاب التأكيد على حرية النساء في اختيار ملبسهن ومظهرهن والتصرف في أجسادهن دون أن يبرر ذلك انتهاك هذه الأجساد.وأدى ذلك إلى أولى الانتصارات السياسية والتشريعية المتعلقة بقضية العنف الجنسي (باستثناء قضية الختان).فتم تعديل المادة 306من قانون العقوبات المصري ليجرم التحرش الجنسي عام 2014 كما أقر دستور 2014 في المادة (11) مسؤولية الدولة في حماية النساء من جميع أشكال العنف، كما أطلق المجلس القومي للمرأة الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف ضد النساء عام 2015 وربما يمكننا أن نرى سؤال الجسد بشكل مختلف من خلال النظر إلى الخواطر الشخصية لبعض النسويات المصريات خلال هذه الفترة والتي يمكن الرجوع إليها في سيرهن الذاتية، وانهن اضطربن بين النسوية والوطنية ففى مذكرات لطيفة الزيات ودرية شفيق،بل وحتى بالرجوع إلى هدى شعراوي نجد هذا التمزق فمثلا تروي لطيفة الزيات عن ارتباكها وحيائها الشديد خلال فترة دراستها من

جسدها الأنثوي ووعيها الشديد بتحركاته في كل خطوة،لدرجةالخوف من المشي بضعة خطوات في مكتبة الجامعة لشعورها أن هناك من يتفحصها.هذا على عكس شعورها بالراحة التامة مع حمل هذا الجسد على الأكتاف في المظاهرات (نتأمل من خلال رواية –الباب المفتوح – والتي تعد في الكثير من الأحيان انعكاس لشخصيتها تقول : إحنا فاهمين إذا كنا حريم ولا مش حريم،إن كان الحب حرام ولا حلال) لطيفة الزيات مؤسسة الكتابة النسوية وأدب السيرة للمرأة العربية لم يتذكر اصدقائها بالجامعة من الشباب والشبات إلا انها جميلة،فى وقت لم يكن فى جامعة القاهرة سوى 19 فتاة وصفوها بالسمكة المياسة الدمياطية،فتاة جميلة. زرع بدرى،(كانت تبحث عن ذاتها فى الذوبان فى شيىء ما خارج الذات الضيقة عرفت الفتاة فورة الجنس وبحكم تربيتها وجديتها صادرتها،وفي ظل شعور حاد بالذنب دفعت في أعماقها الأنثى حتى غابت عن وعيها أوكادت)،لايتبدى منها إلاالخجل الذي تستشعره من هذا الجسد الممتليء الغني بالاستدارات سكنتها المرأة المناضلة الجادة المتحمسة،اسطورة التحرر تحت وقع طبول الماركيسية لتكون امرأة "سجن الحضرة" ولكنها كانت تريد أن تعلنها أنها (أنثى) وعندما إشتدوا عليها باللوم قالت:"الجنس أسقط الإمبراطورية الرومانية"في إشارة إلى أنه قد يسقط الحواجز الإيديولوجية؟ إعتقلت 1949 تحت ذمة قضيةشيوعية وخرجت بدون إدانة؟ ومن المفارقات أن يسألها وكيل النيابة قبل التحقيق لماذا؟!فأنت بنت عز،وجميلة لماذا البهدلة ..لماذاالسياسة؟ وكأن السياسة للمهمشات والدميمات؟!.وعلى نفس المنوال تقول شفيق في مذكراتها أن

الحب كان مقترنا في ذهنها بالرعب وتروي عن ارتباكها الشديد تجاه أولى تجاربها مع الحب خلال فترة دراستها في فرنسا مع شاعر فرنسى وكيف تأزم عليها الموقف بين من تقيم معهن من الدارسات؟! وهن يغرن منها،وهى تتأزم حتى مع نفسها فقد كانت تعد رسالة الدكتوراة عن المرأة فى الإسلام؟! وترى أنها أجلت أنوثتها حتى وقت عودتها للوطن وفى صيف 1935عرفت شفيق بوجود مسابقة لاختيار ملكة جمال مصر وقد اعتبرت ذلك فرصة رغم أن علماء الإسلام يشيدون بفضيلة الحياء بما في ذلك التغطية الكاملة لأجساد النساء وشعورهن،ولم يكن يدخل تلك المسابقة إلا ذوات الأصول الأوروبية أو المسيحية القبطية لم تدخلها من قبل مسلمة –ولكنها لم تحرم نفسها من المحاولة – شفيق– دخلت المسابقة من دون إخبارعائلتها،وحصلت على المركزالثاني (الوصيفة)لكن الصحافة المصرية كانت ساخطة.قالت شفيق:"في باريس أثبتُ نفسي في المجال الفكري.وأردت الآن أن أؤكد نفسي في المجال الأنثوي" وكتبت شفيق عن جمالها (كما لو أن الطبيعة ،بنوع من العدالة المتأصلة،حرمتني من الرقي الاجتماعي،والمكانة،والثروة، وعوّضتني بهذه المزايا،لن يعطي أحد الحرية للمرأة إلا المرأة نفسها) وربما أيضا من أبرز الوقائع المرتبطة بالجسد التي ترويها شفيق في مذكراتها هي رفض عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة تعيينها إبان حصولها على درجة الدكتوراة وعودتها من فرنسا لأنه لا يمكن أن يتحمل مسؤولية تعيين "أستاذة جميلة في الكلية"؟! وإدركت شفيق بالظلم الذي تعرضت له بسبب هذا الجسد ..لقد عجزت الدول العربية أن تكون نسوية، لأنها عجزت عن تقديم إجابات

متعلقة بتحرر الجسد بل سببت المزيد من الارتباك حيث وعدت ب "تحرير النساء" عن طريق خروجهن للعمل دون طرح أسئلة المجال الخاص والحريات الجسدية والشخصية للنقاش

3

كان الزعيم سعد زغلول صاحب خطاب نهضة. وكان يمكن أن يتقدم الرواد المناصرين لقضية المرأة فى بلادنا.وكان يملك أدوات التقدم عليهم جميعاً (الثورة ..الشارع ..حزب الوفد.. فصاحة اللسان، والخطابة،) ولم يكونوا جميعاً بعيدين عنه أو بعيداً عنهم فهو أزهرى سافر للغرب كرفاعة الطهطاوى وتلميذ للشيخ محمد عبده. وصديق لقاسم أمين ومشارك ومعاصر لأحمد لطفي السيد,وهو من القلائل الذين عاصروا الأميرة (نازلى فاضل) وجلسوا لصالونها ..وكان محل تقديرها وسرها فهو محاميها الخاص!! ولذا فإنه لم يستغرب ويفتح فاهه من اصطلاح (النسائية) عند ظهوره علنياً (فى المحروسة عام 1899– معاصرا لكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين– ..) هذا الإصطلاح الذى يعنى بمفهومة التحليلى " الوعى الناشئ عن الظلم الواقع على المرأة بسبب جنسها " وبمعناه التطبيقى صراع المرأة للتحرر من القهر الاجتماعى أو السياسى الواقع عليها وأنشطتها النضالية المختلفة لدفع هذا القهر.ولكن الرجل كان مهموماً بقضية الوطنية. يبحث عن وصفة سحرية لثورة شعبية تسرق

الاستقلال لبلاده من تحت عرش الخديوى ومن وراء ظهر دبابات الإنجليز كان يحلم بتفجير الشارع مدنياً وإن كان قد سبق له المشاركة فى ثورة عرابى التى فجرت الشارع.حيث قام الجيش بإنقلاب عسكرى على الخديوى، وبالطبع لم يغب عنه أهمية مشاركة المرأة فى هذه الوصفة السحرية الجديدة.ولكنه اعتقد أن النساء فى ثورته كصفية زوجته ،سيسرن خلفه وسيعطين لقضيته الوطنية أسبقية على قضيتهن النسائية . سيدفعن الثمن ولن يطالبن بالمقابل ، سيرضين بالفتات ولن يخرجن عن دائرة القناعة. وكم كان واهماً!! وقد أعطى سعد زغلول للنساء حرية عريضة إذا ما كان الأمر مرتبط (بالوطنية) وترددت خطواته معهن إذا تعرض الأمر لثورة أخرى أردن أن يخوضنها تحت مظلة الوطنية مرتبطة بذواتهن ولم يكن الأمر مع النساء يقبل ما قبلته (زوجته صفية) تضع البرقع الأبيض على وجهها فى منزلها فإذا سافرت إلى أوروبا فى الصيف.. خلعت الحجاب ومشت سافرة!! وعندما خرجت النساء فى مظاهرات ثورة 19 وسقطن شهيدات. لم يعد مقبولاً من سعد زغلول تأجيل النسائية وتفضيل الوطنية ..لم يفلح معهن الشعار القديم (لا صوت يعلو على صوت المعركة) الذى ردده الوفد فى مقولة (الاستقلال التام أو الموت الزؤم) لذا فقد ابتعدن بشكل ملحوظ عن وضع تحرير المرأة تحت مظلة التحرير الوطنى، طالما أنه يؤجل الهدف الأول (النساء) إلى حين تحقيق الهدف الثانى (الاستقلال). وكما تقول المستشرقة (مارجو بدران): إن طرح سؤال هل يتعين على المرأة إعطاء النسائية أسبقية على الوطنية؟! كان يحمل فى طياته صيغة إدانة تفرضها السلطة الأبوية وتفرض على المرأة

اختيار بين أمرين، ويفرض عليها عبئاً قومياً ووطنياً، ويلح على تاريخها الطويل الذى تعودت من خلاله على تفضيل الآخرين على نفسها ويدعوها إلى القيام بتضحيات وتأجيلات لا نهائية، ويثير الإحساس بالذنب لدى اللائى يفضلن ذواتهن.ونسائيتهن.وفى هذا الوقت كانت النسائية كأتجاه عالمى تطبع الأشياء حتى الأدب، ولذا تم التضحية بانتاج أدبى جيد لأنه لايخدم قضية النساء نحو ذاتهن مثل رواية (سيد العزبة) لعائشة عبد الرحمن (د/ بنت الشاطئ) 1942) لأن بطلة روايتها (سميرة) تقول : إذا كان هذا يرضي السيد فماذا علي من الناس ؟ وتم التضحية برواية جميلة آخرى رائدة لا يذكرها أحد وهي رواية (صابحة) لملك فهمي سرور (1948) ؟! لأن شخصية صابحة – النموذج التقليدي للمرأة في علاقتها بالرجل لا تروقهن الآن !! فهي على سبيل المثال " تود أن تتزوج رجلا يأمرها ..لا ربيبا يطيعها..رجلا شرسا.. منفعلا غضوبا ..ثائرا ناقما وتقول: أنها كفء أن تتحمل كل هذا وترضيه " تم رفض نوع معين من الكتابات! وفرض نوع معين آخر ؟ تقول الناقدة د. هدى وصفي إن قهر المرأة اوجد أدبا يسمى بالأدب النسائي حاولت المرأة فيه تخيل (يوتوبيا خاصة) حلم فلسفي بالمساواة مع الرجل على المستوى الإنساني .وفى 16 مارس 1919 وقبل خروج النساء فى مظاهرات وطنية احتجاجاً على نفى سعد زغلول والتصاقاً بثورته الوطنية دارت مكلمة حول الوطنية والنسائية كان طرفها النساء فى جهة بقيادة صفية زغلول وهدي الشعراوي، وأقطاب الوفد الذكور فى طرف آخر، ووصل الأمر بالذكور لحد رفض الدور الوطنى للمرأة !! وإذا بصوت

"عبد العزيز فهمي" يعلو: إنى أعجب أن تقترح سيدة عاقلة مثل صفية هانم مظاهرة النساء فى الشوارع؟! ويذهب لبيت الأمة ويحاول أن يمنع ذلك ويعود خائباً فيقول فى اجتماع موسع بالحزب : أنه يخشى أن تكون النساء قد أصابهن نفى سعد بهزة أثرت على عقولهن!!وظهرت عبارة لصفية زغلول قوية ومؤثرة: إن نساء مصر لسن أعضاء فى الوفد ولا توجد امرأة تمثلهن فى الوفد. ولهذا ليس من حق الوفد أن يصدر الأوامر إليهن.. إننا نخرج التزاماً بقضايا بلادنا ولا نخرج لنؤيد سياسة حزب !! وهرول (عبد الرحمن فهمي) متطوعاً أن يقنع صفية هانم زغلول. نظراً للعلاقة الوثيقة بينه وبينها، وقال لصفية زغلول عبارة غريبة: إن سعد زغلول قد جعل (بيت الأمة) لكل المصريين ولكنه بنى فى بيته الذى تعيشين فيه (سلاملك) يستقبل فيه الرجال من باب خاص بهم، بينما تدخل السيدات من باب آخر إلى صالونات خاصة بهن ولم يقل عبارة – الحرملك– فاتركى الحال على ما هو عليه الآن حتى يحضر سعد زغلول ويعيد تغيير الأبواب!! ولم ينم عبد الرحمن فهمي الليل!! إنه لم يستطع أن يفهم لماذا تريد أن تخرج المرأة بنفسها فى السياسة ؟! وكان أكثر ما يزعجه موقف زوجة زعيمه سعد زغلول. إنها تريد أن يخرج النساء للشوارع فى الوقت الذى وقفت تحدثه من خلف الباب!! إنه لم يرها بل سمع صوتها فقط ، فقط من وراء الحاجز!! ولولا أنه يعرفها ويعرف صوتها لاعتقد أنها غواية من الأخريات، فإن كيدهن عظيم ولكنه صوتها إنها صفية زغلول!! يعرف الصوت وقت الصفى،كما يعرفه وقت العراك

ولذاسارعت هدي شعراوي بتقديم استقالتها من (لجنة نساء الوفد) واعتزرت عن الاستمرار عندما وجدت (سعد زغلول) غير مهتم بأن يكون النساء عضوات عاملات فى الحزب.مكتفياً بأن يعملن منتسبات من خلف أزواجهن أعضاء الوفد " كتوابع للأزواج"!! رغم أن النساء عندما وقع الصراع بين عدلي وسعد. انضممن إلى سعد زغلول،حتى أن علي شعراوي باشا انضم إلى عدلى. وإذا به يفاجأ بزوجته هدي شعراوي تؤيد سعد وتهاجم خصومه ومنهم زوجها! آى أنهن لا يتبعن فى مصالح الوطن إلا انفسهن.واعتقدت (هدي شعراوي) بأنه فى لحظات الخطر لا يبدى الرجل أى اعتراض لظهور المرأة بجواره ولكنه يغير نظرته إليها فيما بعد؟! وكونت اتحادها النسائي منفصلة بقضية النسائية،جاعلة الوطنية من خلال رؤيتها الخاصة كأنثى بدليل اهتمامها الواضح بأثار معاهدة 1936 وقضية فلسطين وإن كان سعد زغلول قد أوضح بشكل مباشر للزعيمة الوفدية الجديدة التى تولت لجنة نساء الوفد بعد هدي شعراوي – منيرة ثابت– إنه لا ينكر حركة المرأة وحقوقها ولكنه يؤجلها – وإن التأجيل لا يعنى الإنكار وإنما يعنى الانشغال بما هو أولى– إنه شئ يشبه ما فعله عمر بن الخطاب فى عام الرمادة – أوقف أعمال نص قطع يد السارق ولكنه لم يكفر بالنص– وطالبها بأن تضع التحولات الوطنية والأعراف والميراث الاجتماعى فى الاعتبار ولكنها أتعبته أكثر من هدي شعراوي فهى صغيرة وحاصلة على ليسانس الحقوق من السربون وثائرة لحد التطرف لقد فاجأته سنة 1924 عندما ألف أول وزاة شعبية بقولها

أنها وزارة لا تمثل الشعب؟! وسألها الزعيم لماذا؟! إنها أول وزارة يدخلها الأفندية.. وقالت له: وزارة بلا وزيره امرأة لا تمثل الشعب!! وإذا بمنيرة ثابت تعارضه: أنا لم أتزوج بعد يا سعد بيه ولا ينوب عنى إلا امرأة..الرجل لايمثلنى فى البرلمان!! وأنبرت للزعيم بلسانها الطويل (التقاليد منعت الأفنديات أن يصبحوا وزراء، وأنت كسرت التقاليد الذكورية وجعلتهم وزراء !! فلماذا لا تكسر التقاليد الأنثوية وتدخل المرأة البرلمان.؟ إنك رئيس وزراء ثورة).واعتقد سعد زغلول أنه غير العادات الشائعة.فإذا كان لا يجوز للمرأة أن تمشى وحدها فى الشارع يجب أن يتبعها خادم. فإذا كانت مع زوجها، تعمد أن يمشى أمامها، وتمشى هى خلفه. فإذا به يمشى مع زوجته ويخرج معها ويركباً الحنطور جنباً إلى جنب.. ومما يذكر أن صورة الزفاف لسعد زغلول وصفية ظهر فيها العريس سعد جالساً على مقعد وكانت صفية واقفة وراءه! ولكن بعد الثورة بدأت صفية تظهر فى الصور الفوتوغرافية جالسة إلى جواره أو واقفة بجانبه.وحدث أن رفع سعد اليشمك عن وجه أبنة الشيخ علي يوسف فى إحدى حفلات بيت الأمة وكرر ذلك مع الآنسة "فكرية حسنى" عندما ألقت خطاباً ولكنه لم يحتمل ما فعلته (منيرة ثابت) كيف يخرج رجل غريب مع آنسة غريبة فى الشارع جنباً إلى جنب؟! بل إنهما يتنزهان، ويجلسان فى الأماكن العامة؟! وفرض على منيرة والأستاذ عبد القادر حمزة "الزواج ؟! " مع أنهما كانا يعملان معاً فى جريدة واحدة؟! أنه فى الوفد لايسمح بمايسمح فى جامعة السربون..وبهت سعد زغلول من منيرة ثابت وهى تقول له : أنها موافقة على الزواج ولكن الأستاذ (عبد

القادر حمزة) متزوج وعنده أولاد وهى لا تريد أن تكون لها ضرة.. إنها ضد تعدد الزوجات...والمعنى أنه عليه أن يطلق زوجته الأولى وقال لها سعد: لا تملكى تعديل نصوص القرآن يا منيرة ؟ وقالت له أنا أتحدث بالشريعة: (ولن تعدلوا)؟!.. وإذا بسعد يثور ويصيح إنك تفسرين القرآن بالفرنساوى الذى تجيديه !! العرب يعرفون التفسير الصحيح فلقد اعتقدت منيرة ثابت أن الأربع كلمات السحرية التى كررها (سعد زغلول) " الدين لله والوطن للجميع" قد حيدت الدين عن نظر طموحاتها النسائية وأن قبول الزعيم للسفور يعنى قبوله للتبرج، وأنه إذا كان قد سمح لزوجته بقلع اليشمك فإنه سيسمح للنساء ولها لخلع نصوص الدين!!وأسقط سعد زغلول (منيرة ثابت) من برجها العاجى ومن ثورتها الفائرة وزوجها رغما عنها برجل متزوج – ليقطع الالسنه عن أن تمسها بسوء – وقبلت أن تكون زوجته الثانية!! لقد أقنعها سعد زغلول بأنه لم يخلع الجبة والقفطان ولكنه لبس فوقها الملابس الأفرنكى!! وأن تحييد الدين الذى يفهمه سعد الأزهري، الأفندي، الفلاح، الثائر، الزوج بلا ولد، الأب لكل الشعب، السرى، العلنى، المنفى، الحاضر. هو التمهيد لدولة مصرية خالصة لا يقتلع فيها الدين من القلوب ولكن يقتلع فيها (الباب العالى) من الحكم. دولة مدنية لا يتاجر فى سياستها باسم الدين وتهب حق المواطنة والتمثيل لمن يثبت صلاحه قبطى كان أم مسلم. إن عبارة الدين لله. إنما تعنى أن التقديس لله وحده والناس جميعاً عبادة. ويبدو أن صفية زغلول كانت تقر سعد فيما ارتضاه فقضية المرأة متصلة بقضية وطنها ولا تنفصل عنه فإذا قامت بدورها فى (الوطنية) فعليها أن

تعود وتجلس فى بيتها، فقد رفضت من يقول أنها زعيمة الوفد بعد موت سعد. إنها تكمل رسالته ولا تعرف من أين تبدأ من بعد ما انتهى!! ويعتقد البعض كما سجلوا فى كتاباتهم أن سفور صفية زغلول فى إطار النسائية ولكنها كانت تراه فى إطار الوطنية وثورة 19!! فلقد أدهش صفية زغلول أن (لجنة نساء الوفد) عند المقاطعة المدنية لكل ما هو إنجليزى من بضائع وتعاملات الذى قادته الثورة الزغلولية، يضع معظمهن (البودره) على وجوههن!! وكانت إذا أرادت أن تصف فتاة بأنها مؤدبة قالت: إنها لا تشرب القهوة ولا تضع ساقاً على ساق! وأذهلها عندما رافقتها (فهيمة ثابت) فى سفرها لسعد زغلول فى منفاه عند مرضه بجبل طارق أن هذه المرأة الثورية التى تركت أسرتها وأولادها لتكون فى خدمتها وزوجها سعد لتقدمهما فى السن– تدخن السجائر!! وبدى وكأنها تعيد أفكارها عن المرأة الفاضلة والمرأة الثائرة؟!..وحينما زارتها السيدة (فاطمة نعمت راشد) سنة 1941 أول مرة مرتدية بنطلون طالبه منها أن تكون رئيسة شرفيه لأول حزب نساء فى مصر أسسته نعمت راشد فى 1492،استغربتها جدا فى شكلها وفى طلبها

صفية – لماذا لا تلبسين مثل النساء؟!

نعمت – تقصدين البنطلون.. إنه أكثر حشمة وحرية للمرأة العاملة.

صفية – ولكنه أكثر فتنة بالناس فى الشارع، المرأة لا ترتدى البنطلون إلاإذا خلع الرجل بنطلونه واعطاه لها!! وأنصرفت فاطمة نعمت

قبل أن تكمل قهوتها..لقد سمعت منها أنها لم ترفض زوجه النحاس لأنها مطلقة وإنما لأنها تلبس البنطلون،وأنها لم ينطلق لسانها ضد امرأة بأنها سيئة السمعة.ولكن البنطلون يسئ لسمعة المرأة (إنه يصفها ويشفها) ويبدو أن بنطلون فاطمة هانم راشد كان من أنواع الأسترتش!! وفى حزبها الخاص قالت فاطمة نعمت: لقد كبرت وخرفت صفية زغلول، ذهبت لأكلمها عن أول حزب للنساء فى مصر فكلمتنى عن البنطلون الذى جعل النحاس يترك أخت القاضى مصطفى حسن ويتزوج بزينب الوكيل. أنها وقفت عند مسائل شكلية!!..وأسقطت المسائل الشكلية حزب فاطمة نعمت حينما وان رأت أن من حق المرأة أن تكون ضابطة فى القوات المسلحة!! لأن من حقها دخول كل الوظائف وسألوها إذن يمكن تكون مجندة وعسكرى ومقاتلة ولم ترد؟! ووزعت الجاتوه لتوقف الكلمات والأسئلة عن الألسنه!!

فهناك مرحلتان للوعى الوطنى النسائى:

المرحلة الأولى (من نهاية القرن التاسع عشر وحتى ثورة 1919).

المرحلة الثانية (من 1919 حتى 1923).

واستندت المرأة فى المرحلتين وتعكزت فيهما على الحداثة الإسلامية والحركة الوطنية التى بطابعها كانت مسلمة ولأن النسائية فى المرحلة الأولى كان لها مفهوم شرقى. (ففى هذه الفترة المبكرة ركزت المرأة على إعداد نفسها والجيل المقبل من النساء على حياة جديدة فى المجتمع، وذلك عن طريق التعليم الذاتى، والتعليم الرسمى فقد بدأت المرأة

بالتحرك تدريجياً وبحذر شديد نحو الحياة العامة، بينما ظلت محتفظة بتقاليد العزلة، لتتجنب فقدان الاحترام والاستغلال الجنسى.) ولقد حذرت كل من. ملك حفنى ناصف. ونبوية موسي من رفع الحجاب فى بداية القرن حتى لا تتعرض المرأة لمضايقات الرجال الذين لم يتعودوا رؤية المرأة المحترمة فى المدينة بدون حجاب.وفى عام 1910 ردت ملك حفنى ناصف على حديث لعبد الحميد أفندي، دعا فيه إلى رفع الحجاب وقالت: إننى مندهشة لدعوتك لنا برفع الحجاب فى الوقت الذى ما زلنا نتعرض فيه للحملقة الوقحة ولملاحظات غاية فى الإحراج عندما نسير فى الطريق!! كانت النسائية التى تطالب بها المرأة فى هذه الفترة تختلف عن النسائية التى ينادى بها الرجل المتحرر، والتى يدعو فيها إلى وضع نهاية فورية لنظام الحريم ورفع الحجاب، ولقد أصرت المرأة على تحديد جدول أعمال خاص بها، وتحديد أولوياتها، وعملياً كان على المرأة وليس على الرجل أن تواجه المجتمع الأبوى، ولقد رأت أن الوقت لم يكن مواتياً بعد. وفضلاً عن ذلك فإن السخرية الكامنة فى تلقى المرأة للأوامر من الرجل بالنسبة لتحررها، لم يكن خافياً عليها..لذا رأت ثورة 19 أهمية الاستفادة من الوعى الوطنى النسائى وأشراكها فى قضية تحرير بلادها وفى هذه المرحلة الثانية اشتركت نساء الوفد مع رجال الوفد كما أنهن حللن محلهم أثناء غيابهم.إن نجاح الوفد يرجع بدرجة كبيرة إلى التأييد الكبير الذى كان يحظى به، فلقد لعبت نساء الوفد دوراً أساسياً فى تنظيم وتنسيق، وتوسيع نطاق التأييد للوفد، وفى الأيام الأولى للثورة، عندما تم استبعاد الزعماء من الرجال على وجه السرعة من مسرح الأحداث، حافظت النساء

المصريات على الحركة متآججة وحشدن التأييد الوطنى من خلال تعبئة شبكات الاتصال بين السيدات فى كل أنحاء البلاد.فمنذ عام 1919وحتى عام 1922 مرت فترات طويلة كان فيها سعد زغلول ورجالات الوفد مبعدين بالإعتقال والنفى وحل محل الرجال النساء فى هذه الفترة ولعبن أدواراً رئيسية مثل الحفاظ على الروح المعنوية للشعب،وتخطيط الاحتجاج،وإدارة الشئون المالية ومواصلة الاتصال بالزعماء الغائبين وسلطات الاحتلال،ووسائل الإعلام والخارج.وشاركت المرأة كمناضلة فى الكفاح أثناء الثورة، بصفتها مواطنة مصرية وليس بصفتها امرأة.. وكما أن الوطنيين من الرجال قبلوا النضال الوطني للمرأة، عندما كان يروق لهم ذلك مثل مظاهرات المرأة والمقاطعة الاقتصادية على سبيل المثال تحت ظروف القهر وعندما كانوا يودعون السجون أو يرحلون إلى المنفى،ولكن عندما كانت العناصر الوطنية من الرجال لا تزال على مسرح الأحداث، ولها السيطرة على مقاليد الأمور، أهملوا وجهة نظر المرأة،ثم بعد الاستقلال حرموها كمواطنة من حقوقها السياسية المكتسبة حديثاً..وكان قد أصبح جلياً لرائدات الحركة النسائية خلال النضال الوطنى بعد ذلك أن وطنية الرجل تتسم بطابع السلطة الأبوية .وكانت تجربة المرأة مع سعد زغلول، تجربة مفيدة فقد وضح فيها أن الوفد يريد أن يذيب الحركة النسائية فى الحركة الوطنية،والحركة النسائية تريد أن تركب الوفد لتحقيق طموحاتها ولم يكن السؤال كيف يمكن وضع الوطنية والنسائية فى زجاجة واحدة؟!وإنما كان السؤال من يسبق الآخر فى الأولويات والتحرك الوطنية أم النسائية؟! ودون الحكم على التجربة فإن

الدرس المستفاد أنه عندما تتعايش الوطنية مع النسائية.فمن المفيد التحرى عن البعد الوطنى للنسائية والبعد النسائى للوطنية مع أخذ العديد من الأسئلة فى تجربة سعد ونساء الوفد بعين الاعتبار..كما أن أبعاد الوطنية عن النسائية والنسائية عن الوطنية تجزئة لا طائل منها وسيخسر منها الطرفان.ولكن علينا أن نقرر أن حزب الوفد قبل أن يتعامل مع النسائية بالمفهوم الشرقى واقترب منها وحن عليها بأقصى مايحتمل – برغم أن النسائية بطبيعتها مفهوم غربى يتعين مقاومته باعتباره صورة من الاستعمار الثقافى – وأنه منذ عام 1922 أخذت النسائية مظاهر غربية واضحة.وقد اعترفت المرأة حديثاً بذلك ففى بحث لمركز دراسات المرأة الجديدة 1995 عن (الحركة النسائية فى مصر) أقر البحث بأن من سمات هذه الحركة أثناء وبعد ثورة 19 وحتى 1952. هى : (الاتصال بالغرب الذى كان له أثره فى المقارنة بين أوضاع المرأة المصرية والغربية.– تبنى التفسير المتقدم للدين فى مسألة النساء فى أغلب الأحوال.– فك اللثام عن العادات التركية فى ملابس النساء التى وصلت لحد الاعتقاد فى عدم أصولها الدينية.)ولكن العمل النسائى كالعمل الحزبى فى مصر فى تلك الفترة أعتمد على النخبة والصفوة المثقفة وأنه باستثناء لحظات الاحتدام الثورى أثناء 1919 حيث اندفعت كتل النساء للمشاركة فى التظاهرات والاضرابات ظلت المساحة الأساسية للعمل هى الرائدات المثقفات وربما من طبقات بعينها وكان مركزها الأساسى المدن الكبرى والعاصمة القاهرة. ولم تصل للريف المصرى ولم تتماس مع نساء الطبقات الفقيرة إلا من خلال بعض الخدمات إذن

فقصة سعد مع النساء ليست قصة غرامية مشتعلة..ولا فضحية صحفية صفراء.ولكنها جزء من تراث شعب. وقصة مستمرة كانت ولا تزال موضوعا للحكى و الدراسة، وإن كان فيها كل ما يميز قصص النساء من تجازب وتنافر وعشق، وهجران.واحيانا التباس؟! فسعد زغلول زعيم مع مطالب الحريم! ولكنه زعيم أيضا ضد تطرف الحريم؟! هو مع حقوق المرأة العامة التى تهم كل النساء. ومستعد فى ذلك أن يضع رأسه على كفه. ولكنه لا يتجاوز ذلك ولا يتجاوب فيه!!وقد فعل ..وفقد وظيفة (وزير الحقانية)..من أجل حقوق الأميرة (صالحة هانم) فإحدى أميرات القصر الملكى وهى صالحة كريمة الأمير إبراهيم حلمي عم الخديوى عباس حلمي الثاني.تزوجت من دبلوماسى روسى مسيحى هو (فلاديمير يوركومنيش) وثارت ضجة حول هذا الزواج لأن الزوجة مسلمة، والزوج مسيحى.فأمر الخديوى بمحو اسمها من سجل أفراد أسرة محمد علي وتعيين قيم على أملاكها ليقوم بتقديم كشف حساب عنها كل عام لوزير الحقانية – والذى كان وقتها (سعد زغلول)– وشعر سعد بأن هناك مؤامرة على ثروة تلك المرأة وذلك لقيام القصر بالتدخل فى أقصاء أمها من الوصاية لصالح أبنائها من زوجها الأمير،واعترض سعد على اختيار السرايا الأول (محمد باشا حسن) وقال أنه لص تاريخه لا يؤهله للوصاية – فاختار الخديوي حسن محرم وكيل وزارة الحربية الذى كان فى نفس الوقت يد اللورد كيتشنر الإنجليزى وعينه على القصر!! فلما راجع سعد زغلول هذا الحساب وجد فيه إجحافاً خطيراً فأمر بعزل حسين محرم وكان صديقاً حميماً لكتشنر.. وللسراى أيضاً..فلما شكاه تحدث إليه كتشنر بأنه لم

يعمل حساباً لصداقة حسين محرم باللورد وأقصائه من وظيفة تدر عليه دخلاً..وطالب بعودته..وهو ما اعتبره سعد تدخلاً فى صميم عمله فاستقال.ولكنه ضد نزوات النساء الخاصة، إنه لا يعتبرها تحرر وتقدمية، بل تخلف وعبودية. وذات يوم سمع (مصطفي وعلي أمين) سعد يتحدث غاضباً عن سيدية اسمها (صفية) وبهت الطفلان..إن سعد يهاجم صفية هذه بعنف ومرارة، إنهما يعرفان أن ستهما اسمها صفية وهى زوجة سعد، وهو يحبها كل الحب، ويحترمها أشد الاحترام.. وإذا بالطفلين يبكيان فى وقت واحد حزناً لأن جدهما يشتم ستهما بهذه الألفاظ القاسية! وتنبه سعد إلى بكائهما ودهش، وسألهما عما يبكيهما؟ فقالا فى صوت واحد: لأنك تشتم ستى! وضحك سعد طويلاً وضحكت صفية زغلول..وقال سعد أنه لا يهاجم صفية زوجته وإنما يهاجم صفية السادات أرملة صديقه الشيخ علي يوسف! وكانت هذه هى أول مرة يسمع فيها الطفلان سعد يقسو فى الحديث عن امرأة!.. وكان سر قسوته أنه سمع أن أرملة صديقه أحبت بعد وفاته ممثلاً مغنياً اسمه زكى عكاشة، وأنها قد تتزوجه، وكان سعد ثائراً على هذا التصرف، فقد رأى فيه عدواناً على ذكرى صديقه الذى أعطى هذه المرأة اسمه ومجده وحياته فداست على كل هذا بالأقدام من أجل ممثل شاب!..وهاجمت سعد زغلول (نبوية موسي) و(منيرة ثابت) و(روز اليوسف) وقلن: إنها لم تخن زوجها ولكنها تتزوج بعد موته بـ7 سنوات. ثم أنه عندما مات زوجها علي يوسف كانت صفية السادات فى السادسة والعشرين!! وقالت روز اليوسف: آلان زكي عكاشة مشخصاتي؟! وقالت نبوية موسي: أخشى أن يفضل زعيم الوفد الطريقة

الهندية فى التعامل مع الأرملة بعد موت زوجها.. فنحرقها حية مع جثة زوجها الميت!! وقالت منيرة: إن سعد زغلول يريد وفاء المرأة بعد الموت– ولا يعترف بوفاء الرجل فى الحياة أين وفاء الرجل إذا كان له زوجة ثانية وثالثة ورابعة!! ولكن سعد زغلول كرجل فلاح لم يتصور أن تنتهى قصة حب شهدها،هذه النهاية كان يعتبر أن (زكى عكاشة) نزوةعلى صفية السادات عليها أن تعلو فوقها وتتخطاها!! كانت القصة التى أثارت سعد زغلول كل هذه الثورة، من الغرابة بمكان، فقد كان الشيخ علي يوسف فلاحاً فقيراً فى قرية بلصفورة فى الصعيد، وجاء إلى القاهرة ودرس فى الأزهر، ولكنه لم يستطع إتمام دراسته لشدة فقره. فعمل فى الصحافة. وبرز فيها. وأصدر جريدة المؤيد، وأصبح الصحفى الأول فى مصر. وكانت المؤيد تهاجم الإنجليز وتنشر مقالات مصطفي كامل. وكان سعد يساعد المؤيد مالياً عندما تقع فى صراعها مع الإنجليز. وأحب الشيخ علي يوسف الآنسة صفية السادات ابنة الشيخ السادات وهو عميد أسرة عريقة من الأشراف تنتسب إلى سلالة الحسين أحفاد النبى.وتقدم الصحفى الأول إلى الحسيب النسيب يطلب يد ابنته ووافق الأب فى أول الأمر ثم تدخل خصوم الصحفى الأول واقنعوا الأب بأنه لا يليق بكرامة أسرة السادات العظيمة أن تزوج ابنتها لصحفى وضيع الشأن من أسرة حقيرة لا تنتسب للنبى ولا للخلفاء الراشدين. واقتنع الأب وصرف النظر عن الزواج.وإذا بالأنسة صفية تتصل سراً بالصحفى الأول تبادله الخطابات الغرامية وتتفق معه على أن تهرب من بيت أبيها وتتزوج منه. وفعلاً تم الزواج وفوجئ به الأب. ولم يكن سعد فى أول الأم موافقاً على

هروب صفية من بيت أبيها ليتزوجها حبيبها الصحفى الأول. ولكنه لم يلبث أن وقف مع الصحفى علي يوسف عندما رأى الرجعية كلها تقف ضده. فقد أوعز الإنجليز إلى الأب أن يرفع قضية أمام المحكمة الشرعية يطلب طلاق ابنته من الصحفى الأول بحجة عدم كفاءة علي يوسف لابنته لأن نسة حقير.وحرفته.وهى الصحافة.مهنة حقيرة بل أحقر الحرف، حرفة كلها عار وشنار لا يحترفها إلا كل متشرد آفاق وكل من لا صناعة له وكل من لفظته الأعمال الشريفة! وفوجئ سعد بأغلبية الرأى تقف ضد الشيخ علي يوسف وتقول أنه لا يجوز. للصحفى الذى هو فلاح من أسرة غير منسبة، أن يتزوج من ابنة كبير الأشراف! ووجد سعد نفسه فى معسكر علي يوسف ضد أغلبية الرأى العام فى مصر. إنه هو أيضاً فلاح مثل علي يوسف. إن أسرته لا تنتسب للنبى مثل علي يوسف. إنه كان صحفياً مثل علي يوسف، ومع ذلك فقد تزوج من ابنة رئيس وزراء مصر، ولم يجرؤ أحد على أن يقول أن هذا الزواج غير متكافئ! لم يصدق سعد زغلول أن صديقه– (الشيخ علي يوسف) الذى صبر بعد حكم التفريق بينه وبين زوجته لمدة ثلاث سنوات..عاد بعدها يحمل البشويه ووجد أن هذا الحادث قد أعاق زواج صفية السادات من بعده– فتزوجها مرة أخرى ومن يد أبيها الشيخ السادات،فهو الباشا صاحب أكبر جريدة فى مصر لتنتهى قصته بأن تزوج أرملته من ممثل شاهدته وهو يؤدى دور روميو فى مسرحية لشكسبير!!فإذا كان الطهطاوى تنبأ بفتح الباب للنساء ووقف ينظر من النافذة. وإذا كان الشيخ محمد عبده لم يجد غضاضه دينية فى ترك الباب مواربا،ولكنه أغلق

على زوجته حجرتها.؟ وإذا كان قاسم أمين سهل أمر فتح الباب وجعله مجرد ستارة يسهل اختراقها !! فإن سعد زغلول هو الذى قرر فتحه ولكنه قرر أيضاً أن يبقى مفتاحه بيده. وتطورت نظريات الباب..فاقترح فؤاد المهندس فى مسرحية شهيرة له هى مسرحية" سك على بناتك" أن نسك على البنات ونعطيهن المفتاح!! وانتهى الأمر بأن نسك الباب وننام ويبقى النساء فى الشارع ومعهن المفاتيح؟! ليفتحن عند الحضور..ولا يزال النساء يحلمن بباب مفتوح. وضياع المفاتيح!!

.....

.....